مقتل الملكة مارى ستيوارت

أخذ المحققون من علماء التاريخ فى إماطة اللثام عن مأساة من أشد المآسى نكرا وأكثرها غموضاً ، وقعت فى القرن السادس الميلادى وكانت ضحيتها مارى ستيوارت ملكة إيقوسيا وزوجها هنرى ستيوارت (لورد دارنلى) ؛ وما يزال هؤلاء العلماء المحققون مكبين على وثائق هذه المأساة يقلبونها درساً وفحصاً ، ويمعنون فيها بحثاً وتنقيباً ؛ ولحسن حظ التاريخ ، قد عنى الانجليز ، منذ وقوع هذه المأساة ، بجمع وثائقها وإيداعها المتحف البريطانى ، محافظة على آثار ذلك العهد ، وصيانة لذكرياته المفجعة .

وقد أدى بحث هذه الوثائق ومنها محاضر التحقيق فى قضية اتهام الملكة مارى استيوارت إلى حقائق مؤثرة أثارت اهتماما كبيراً فى الدوائر العلمية والتاريخية ، وحملت كثيرين من العلماء على التفكير تفكيراً جديا فى إعادة النظر فيما وصل إلى أيديهم من سيرة القرون الغابرة والعهود الماضية

فلقد كانت مارى ستيوارت ملكة على إيقوسيا وكان زوجها هنرى ستيوارت (لورد دارنلى) شريفا من أشراف الانجليز ، أحبه الشعب واطمأن إليه ؛ وحدث ذات ليلة أن نسف جناح القصر الذى يسكنه فتناثرت أشلاء اللورد فى الهواء فاتهمت الملكة بالمؤامرة على قتله والفتك به للتخلص منه وإخلاء الطريق لعشيقها إرل بوثويل أحد كبار الأشراف فى الجزر البريطانية

وتألفت لجنة من كبار اللوردات الانجليز وتولت تحقيق هذه القضية فاعتقلت إرل بوثويل ، ونيقولا هيوبارت الخادم الخاص للملكة وكان معروفا باسم (فرنش باريس) لأنه فرنسى الأصل كما اعتقلت غيره من أفراد الحاشية والبلاط الملكى وبعد تحقيق وجيز حكمت عليهم وعلى الملكة مارى ستيوارت نفسها بالإعدام ونفذت فيهم الحكم

أما الأدلة التى بنت عليها هذه اللجنة أو المحكمة الخاصة حكمها ؛ فهى عبارة عن شهادة (فرنش باريس) وقد انتزعت منه قسرا ودونت على أنها اعترافات أدلى بها دون إكراه أو ضغط ولأهمية هذا الشاهد فى هذه المأساة يصح أن نذكر شيئاً عن سيرته وتاريخ حياته ، فقد كان خادما عند إرل بوثويل حتى سنة ١٥٦٧ ثم دخل خدمة الملكة قبيل مقتل لورد دارنلى فأصبح خادمها الخاص وحامل رسائلها الخاصة إلى سكرتيرها أو إلى غيره ممن لهم علاقات وثيقة بالملكة وظل كذلك إلى أن وقعت الجريمة

وقد نقل لنا (سيسل) المؤرخ المعروف فقرات من اعترافات فرنش باريس فى يومياته التى نشرها عن هذه القضية مستمدا معلوماته من وثيقتين محفوظتين الآن بالمتحف البريطانى ومحررتين باللغة الفرنسية بيد كاتب لجنة التحقيق . وها نحن ننقل هنا أهم ما فى هذه الفقرات

يوم ٥ فبراير — ظلت الملكة طول الليل فى الغرفة الواقعة تحت غرفة الملك (لورد دارنلى) حيث تم وضع البارود وتسلم الخادم (باريس) مفتاحها

يوم ٩ فبراير — تناولت الملكة العشاء هذه الليلة مع إرل بوثويل وأسقف الجزر ، ثم ذهبت مع حاشية مؤلفة من أوجيل ، وها تلى ، وبوثويل إلى الجناح الخاص بالملك وظلوا جميعاً يلهون بالحديث حتى أعد بوثويل ورفاقه كل شىء ، وحتى تسلم (باريس) البارود ثم صعد إليهم وأعطى ضم الإشارة المصطلح عليها ، فغادروا القصر جميعاً إلى حفلة زفاف (باستيان) خادم الملكة ومكثوا هناك إلى الساعة الحادية عشرة مساء ، ثم عادوا إلى الكنيسة وظلوا يتحدثون حتى منتصف الليل

يوم ١٠ فبراير — فيما بين الساعة الثانية والساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، انفجر البارود ، فنسف جناح الملك نسفا ، وأطار أشلاء الملك نفسه فى الهواء ، وهدم مسكنه من أساسه .

وعلى ضوء هذه الوثائق وما تحمل من مخطوطات أخرى نستطيع أن نلخص القضية كلها فيما يلى :-

لما هزمت جيوش الملكة ماري في واقعة (لانجسيد) فرت الملكة إلى انجلترا وفر بوثويل إلى سكاندناوه ، فألقى القبض على (فرنش باريس) وعدد كبير من خدم بوثويل إذ اتجهت إليهم الشبه بأنهم هنشمن دارنلى) ثم أكرهوا على الاعتراف فاعترفوا واعترف باريس بما جاء بمذكرة سيسيل فحكم عليهم بالاعدام وأعدموا فعلا

وتنقسم اعترافات باريس إلى قسمين : اعتراف أدلى به فى يوم ٩ أغسطس سنة ١٥٦٩ ثم اعتراف أدلى به فى اليوم التالى فلم يرسل منهما إلى انجلترا سوى الاعتراف الأخير ليكون إذا استدعى الحال بمثابة دليل احتياطى على اتهام الملكة (١) أما اعتراف ٩ أغسطس فقد حجز لأنه لو قدم للمحكمة لقام دليلا على اتهام الشريف (ميتلاند) الذى سافر خصيصا من إيقوسيا إلى انجلترا لاتهام الملكة ، وكلا الاعترافين فى مستوى واحد وفى مرتبة واحدة فاذا سقط أحدهما انهار الآخر

وقد نشر هذه الوثائق التاريخية لأول مرة فى القرن الثامن عشر ، المؤرخ الدروود

(١) راجع جيودال . صفحة ٨٨ ـ الجزء الثانى

ويؤخذ منها أن باريس إستهل اعترافاته فى الوثيقة الأولى بالمحادثات التى دارت بينه وبين بوتويل فى ركن بين بابين من قصر الملكة فى كرك أوفيلد .

وفى هذا الاعتراف قرر أن بوتويل قال له : « لقد اتفقنا فيما بيننا على نسف دار فل بالبارود » فرد عليه باريس بأن هذه نكبة ستكتسح الجميع : فأسكته بوتويل وقال له: إن أرجيل وهانتل ومورتون وروتفين واندمى وميتلاند يؤيدوننا وبخاصة الأخير منهم

ثم وصف باريس فى الشطر الثانى من اعترافاته كيف أدخل رغم إرادته فى يوم الأحد التالى جون هاى وجون هيبون إلى جناح الملكة وكيف أحضر ثانيهما البارود ووضعه هناك وكيف غادرت الملكة بعدئذ القصر وذهبت إلى الاحتفال بقران خادمها سباستيان وبقى هو وبوتويل وهاى وهيبرن فى ركن بطرف حديقة الملك ولم يلبثا حتى انفجر البارود كالرعد القاصف ففروا جميعا إلى غرفة بوتويل فى الكنيسة حيث أخبرهم هذا بأن هذه الجريمة تقع على رأس لوردات الملكة لا عليهم .

أما الوثيقة الثانية فتتعارض وقتها مع الوثيقة الأولى إذ قيل فيها إن المتآمرين الذين ذكرنا أسماءهم تسللوا إلى مخدع الملك حيث أوثقوه ثم أخبروا البارود ، وفيها اختلاف بين الساعات والتواريخ المذكورة بالوثيقة الأولى مما لا يدع مجالا للشك فى أن اعترافات (باريس) كاذبة استلت منه تحت تأثير الاكراه والتعذيب

ويتضح من الموازنة بين الوثيقتين ومن شهادة اللوردات على الملكة واتهامهم إياها وتعذيبها فى سجنها أن الموضوع كله كان مؤامرة على الملكة أحكمها اللوردات ، فنسفوا جناح الملك عندما كانت الملكة فى حفلة زفاف خادمها سباستيان ، ثم اتهموها بقتله وحكموا عليها بالاعدام.

وقد سجنت الملكة إيان الحاكم فى حصن جزيرة (لوخليفين) ففرت من سجنها بعد ان عذبت عذابا أنحل تقشعر منه الأبدان ، ثم قبض عليها وسيقت إلى ساحة الاعدام

* * *

هذا موجز لتاريخ هذه المأساة الكبرى يتضح لك منه أن بعضا من أشراف انجلترا أرادوا الاستئثار بالسلطان والحكم الاوتقراطى فتآمروا على الملك حتى يستطيعوا اتهام الملكة هى وخلصائها للتخلص منهم وإفساح الطريق لشهواتهم ومطامعهم يشبعونها فى كنف الظلم والاستبداد

ثم يتضح لك منه أيضا أن الملكة ماري ستيوارت بريئة مما اتهمت به ، وان المؤرخين قد كذبوا وافتروا حين جعلوا جرمها أمرا واقعا وحقيقة مسلما بها (طلحه)

فضائل القرآن الكريم

كتاب قيم ألفه حضرة الأستاذ ابراهيم جلال المدرس بالمنيا — وقد تفضل باهدائه إلينا فتصفحناه فألفيناه وافيا بالغرض الذى يرمى إليه مؤلفه . فنشكر للأستاذ جلال غيرته على الدين والقرآن الكريم ثم نشكره مرة أخرى على هذا الاهداء العظيم .